

## الشرق الأوسط وصراع العولمة

د. صالح أحمد أبو بصير\*

### المقدمة

لقد بدأت هذه المرحلة من الصراع في إقليم الشرق الأوسط عام 1990م بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي السابق وتفكك جمهورياته، وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام العالمي الجديد، وهي الفترة التي شهدت تداعيات "صراع العولمة" على الخريطة السياسية العالمية ككل، وفي إقليم الشرق الأوسط تحديداً، والتي ظهرت أولى بوادرها في "البلقان" خصوصاً، وأوروبا الشرقية عموماً.

ويمكن النظر إلى بوادر "صراع العولمة" في هذا الإقليم من الدراسة العامة لموقع الإقليم في الصراع الدولي، ومن أحداث المحطات التاريخية التالية التي كان فيها الصراع الدولي على هذا الإقليم يدور بين واشنطن وموسكو في النسق الدولي العالمي السابق. ولقد تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة تحتوي على نتائج وتوصيات الدراسة.

**مشكلة البحث:** - هل صراع العولمة في إقليم الشرق الأوسط وليد اللحظة وبدأ بتفكك الإتحاد السوفيتي في عام 1990م وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام العالمي أو أنه إمتداد لصراعات قديمة ومرحلة من مراحلها؟

**يهدف** هذا البحث إلى تسليط الضوء على صراع العولمة في إقليم الشرق الأوسط. **فرضية البحث:** - إقليم الشرق الأوسط منطقة صراع على النفوذ والمصالح الإستراتيجية في الماضي والحاضر والمستقبل.

### مناهج البحث:-

- 1- المنهج الإستنباطي:- لتحديد المشكلة وصياغة الفروض.
- 2- المنهج التاريخي:- لإعطاء لمحة عن الشرق الأوسط وصراع العولمة.
- 3- المنهج الوصفي التحليلي.
- 4- منهج دراسة الحالة.

\* دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، دكتوراه في التخطيط الإستراتيجي وإدارة الأعمال

مستشار بيئة أبحاث العلوم الطبيعية والتكنولوجيا

## المبحث الأول: - أهمية موقع إقليم الشرق الأوسط في الصراع الدولي

أشير إلى عدة كتابات وتصريحات وأقوال لسياسيين غربيين وشرقيين، في مقدمتها ما كتبه الكولونيل البريطاني "تشرشل" في منتصف القرن التاسع عشر ناصحاً دولته بريطانيا "أنها إذا كانت بريطانيا ترغب في الحفاظ على سيطرتها في الشرق ينبغي لها بشكل أو آخر، أن تدخل سوريا ومصر في نطاق نفوذها وسيطرتها"، وأضاف أن "نابليون حينما أعلن أنه سيجعل من مدينة عكا مفتاحاً للشرق، برهن على عبقريته العسكرية في تقدير أهمية هذه المنطقة، التي عبثاً حاول الإستيلاء عليها ليجعل منها مرتكزاً ومنطلقاً في أعماله الحربية ضد إمبراطوريتنا الهندية". وتابع "وإذا كانت أسوار عكا تتطوي على مصير عظيم لإهداء بريطانيا، فمن يجرؤ على القول أن حلم "نابليون" كان وهماً وخيالاً؟ فما قولك بجبل لبنان؟ هذه القلعة الطبيعية الكبيرة القائمة بين العالم الشرقي والغربي".

ومن جهته أكد سفير بريطانيا في اسطنبول "هنري بولور" في عام 1860م، هذه الأهمية الإستراتيجية (لسوريا) في حديثه إلى (رسل) وزير الخارجية البريطاني آنذاك "تعلمون، سيادتكم، أن سوريا كانت دائماً لدى أولئك الذين أنشأوا إمبراطورياتهم في الشرق المرتكز الخاص الذي يبنون عليه أي تخطيط عنيد للفتوحات الشرقية، فهي في الواقع حلقة إتصال بين أفريقيا من جهة وآسيا من جهة أخرى".

هذا، وقد زاد من قيمة موقع إقليم الشرق الأوسط الإستراتيجية شق قناة السويس في عام 1869م، لتصبح القناة بعد ذلك رقماً جديداً في الحرب الباردة بين فرنسا وبريطانيا في الإقليم، بعد أن أدرك البريطانيون أهميتها في الدفاع عن الهند وللاإتصال بها (خاصة بعد خسارتهم لمستعمراتهم في أمريكا الشمالية "الولايات المتحدة الأمريكية").

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية، كتب "لويس فرتشلنج" بحثاً عن "إستراتيجية الحلفاء في الشرق الأدنى" في "مجلة تقارير السياسة الخارجية" في الأول من شباط عام 1942م (المجلد 17، عدد 22)، أكد فيه على الأهمية الإستراتيجية للشرق الأدنى - والأوسط، فقال: "إن إقليم الشرق الأدنى - الأوسط الذي يقع جنوب الجبهة الروسية الطويلة، وشرق ساحات المعارك الصحراوية في ليبيا، وغرب منطقة الصراع الشاسعة في القسم الجنوبي الشرقي من آسيا، يحتل اليوم مركزاً رئيسياً في الإستراتيجية العالمية، فإن طرق النقل تخترقه براً وبحراً، مما يوفر نقل الجيوش والمعدات من جبهة إلى أخرى، كما تخترقه أيضاً طرق المواصلات التي تضمن تنسيق العمليات المختلفة لجيوش الحلفاء. لذا فإن إقليم الشرق الأدنى يعتبر حجر الزاوية في خطط الحلفاء الدفاعية (زين ، 1971، ص16).

وفي الموضوع ذاته كتبت جريدة "التايمز اللندنية" في عددها الصادر في 24 تشرين الثاني عام 1943م، تقول: - "إن مجرى الحرب بأكمله قد أظهر لنا بوضوح أهمية الشرق الأوسط بالنسبة إلى المصالح

البريطانية، وفضلاً عن هذا فإننا قد تعلمنا أن بلدان المشرق، ولاسيما لبنان، من أعظم المناطق الحيوية، فإن أهميتها بالنسبة إلينا لا تقتصر على كونها مناطق تقع على خطوط مواصلاتنا إلى الشرق، ولكن أصبح من الواضح جداً أنه لو تمركزت قوة جوية كبيرة لأعدائنا من قاذفات قنابل في الجبال المنيعّة الواقعة في سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية، ومع جميع إمكانات تحصينها تحصيناً قوياً، تستطيع السيطرة فوراً على قناة السويس، وعلى حقول البترول في كركوك وخطوط الأنابيب... " (زين ، 1971، ص16).

وهذا ما أكد عليه أحد السياسيين البريطانيين في عام 1976م، حينما قال "بأن ميزان الخطر بدأ يرفع رأسه مجدداً في لبنان، لأن لبنان هو المفتاح الرئيسي لإقليم الشرق الأوسط" (الكعي، 1986، ص157). وما أكد عليه قائد إحدى حملات الطائرات الأمريكية "الإستقلال" لدى زيارة حاملته إلى بيروت في عام 1982م بقوله:- "من هذا المكان نستطيع أن نراقب تحركات الجيوش حتى الحدود المصرية" (الكعي، 1986، ص157).

وفي 19 حزيران عام 1952م، أصدر الملحق الصحافي البريطاني في بيروت بياناً إعلامياً بمناسبة إفتتاح مؤتمر لندن للديبلوماسيين البريطانيين في إحدى عشرة دولة من دول إقليم الشرق الأوسط، ذكر فيه الخطوط العريضة للمصالح البريطانية في إقليم الشرق الأوسط. وكان من جملة المصالح الأربع التي أوضحها البيان، ثلاث منها مصالح إستراتيجية وهي:-  
 أولاً:- المحافظة على حرية خطوط المواصلات الدولية الحيوية التي يشكلها إقليم الشرق الأوسط جغرافياً، والإبقاء عليها مفتوحة.  
 ثانياً:- المحافظة على حرية الإنتفاع بمخزون النفط لصالح العالم الحر، ولمنفعة بلدان إقليم الشرق الأوسط.  
 ثالثاً:- تشجيع العمل على إتخاذ إجراءات فعالة للدفاع عن هذا الإقليم ضد أي إعتداء يقع عليه من الخارج.

وقبل هذا بخمسة أعوام عبر وزير الخارجية البريطاني "ارنست بفن" عن هذه الفكرة، ولكن بكلمات قليلة، في المؤتمر الوطني لحزب العمال الذي عقد في 29 أيار عام 1947م، بقوله:- (إنه ليس من مصلحة بريطانيا أن تفقد مكانتها في إقليم الشرق الأوسط).

وفي هذا الوقت كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد تخلت عن "سياسة العزلة"، وقد مثل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية بدء إهتمامها المباشر بشؤون إقليم الشرق الأوسط كجزء من سياستها القومية. ففي أثناء الحرب، وبعدها، وقعت سلسلة من الأحداث التي جذبت الولايات المتحدة أكثر فأكثر إلى دوامة سياسة الشرق الأوسط. ففي 3 كانون الأول- ديسمبر عام 1941م، أعلن الرئيس الأمريكي "روزفلت" أن "الدفاع عن تركيا أمر حيوي للدفاع عن الولايات المتحدة"، وبعد خمسة أعوام أدلى الرئيس الأمريكي

"ترومان" بالبيان التاريخي التالي الذي ألقاه في 6 نيسان عام 1946م قائلاً: "في هذا الإقليم (الشرق الأوسط) موارد طبيعية هائلة، فضلاً عن أنها منطقة تقع عبر أفضل الطرق البرية والمواصلات الجوية والمائية.

فهى لذلك بقعة ذات أهمية إقتصادية وإستراتيجية عظيمة، غير أن شعوبها ليست من القوة بحيث أن الدولة الواحدة، أو كل الدول مجتمعة لاتستطيع أن تقاوم العدوان القوي إذا ما أتاها من الخارج، ولذلك يسهل على المرء أن يدرك كيف أن الشرق الأوسط يمكن أن يصبح يوماً ما حلبة لمنافسة عنيفة بين القوى الخارجية، وكيف أن تنافساً يمكن أن يتحول فجأة إلى صراع مسلح" (زين، 1971، ص17).

وقد دفعت سياسة الإندفاع والإمتداد السوفيتي في الإقليم بواشنطن إلى أن تتخذ عام 1947م موقفاً واضحاً تجاه التزاماتها السياسية والعسكرية في الشرق الأوسط (جورج لنشوفسكي، 1959، ص593)، فمن الناحية الإستراتيجية شكلت اليونان وتركيا وإيران وأفغانستان وباكستان الحواجز الشمالية ضد هذا الإندفاع والإمتداد السوفيتي تجاه البحر المتوسط شمال ووسط أفريقيا، وقد دفعت الإعتبارات الإستراتيجية واشنطن إلى أن تقتحم قواتها شرقي البحر المتوسط، الذي يمثل رأس جسر تقليدي بين أوروبا والشرق، ويفصل الإتحاد السوفيتي في الشمال عن مركز القوة الأنجلو أمريكية في الجنوب. وفي هذا القطاع المكشوف واجهت واشنطن أخطر التهديدات السوفيتية في الحرب الباردة، ولكي تحبط هذه التهديدات ساعدت الولايات المتحدة كل من اليونان وتركيا بمساعدات عسكرية، وفي كلتا الحالتين إتجهت سياسة واشنطن إلى المحافظة على إستقلال هاتين الدولتين الصغيرتين (عبدالله، 1979، ص272)، ثم أدخلتهما إلى حلف شمال الأطلسي (الكعي، 1973، ص29).

ومنذ منتصف الأربعينات من القرن الماضي بدأت أهمية إقليم الشرق الأوسط تتصاعد في تصريحات الرئاسة الأمريكية ووزراء الخارجية الأمريكية. ومنذ الخمسينات من القرن الماضي أصبحت هذه الأهمية تشكل إحدى أهم نقاط الإرتكاز الرئيسية للسياسة الخارجية الأمريكية، وهذا ما أوضحه "جون فوستر دالاس" وزير الخارجية الأمريكية الأسبق في تشرين الأول - أكتوبر عام 1953م، حينما أذاع مشروعه الذي يهدف إلى ضرورة حماية أمن هذا الإقليم، وما أكده مبدأ الرئيس "أيزنهاور" في 5 كانون الثاني - يناير عام 1957م، وآراء الرئيس الأسبق "جون كينيدي" عن الأهمية القصوى للشرق الأوسط بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية في عام 1960م، وإهتمام الرئيس "رينتشارد نيكسون" في عام 1973م، وكذلك إهتمام الرئيس "جيمي كارتر" بقضايا الشرق الأوسط، هذا الإهتمام الذي تولد عنه إتفاقية "كامب ديفيد" في أيلول - سبتمبر عام 1978م، والتي أصبحت واشنطن بموجبها شريكاً كاملاً في الإقليم.

وقد أكد "سايروس فانس" وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هذا الإهتمام بعد الوجود السوفيتي في أفغانستان في آذار - مارس عام 1980م، وكذلك مبدأ الرئيس الأسبق "رونالد ريغان" حول الإجماع

الإستراتيجي مع دول الإقليم ضد الخطر الشيوعي، وهذا الإهتمام من الرئيس "ريغان" عاد وظهر حينما فك العدو الإسرائيلي حصاره عن بيروت عام 1982م (تحت ضربات المقاومة الوطنية التي جابهه بها أبناء بيروت وأرغموه على الإنسحاب منها). فأعلن ما سُمي بالمشروع الأمريكي للسلام في الشرق الأوسط القاضي بمنح الفلسطينيين حق تقرير المصير في قطاع غزة والضفة الغربية.

من جهته قيم "جورج لنشوفسكي" السياسة الأمريكية حتى منتصف الخمسينات في الشرق الأوسط بقوله:- "إن هذه السياسة عادت وتوجهت نحو العرب، وكانت تتفاوت من رئيس أمريكي إلى آخر منذ منتصف السبعينات" وتابع "وبينما كان في وسع الولايات المتحدة أن تقول أنها أحرزت شيئاً غير يسير من النجاح، وأخذت إلى جانبها اليونان وتركيا وإيران والباكستان، أي دول النطاق الشمالي من خط دفاع الشرق الأوسط، فإنها لم تحرز على وجه التأكيد إلا قليلاً من التقدم في العالم العربي.

فلم تكن السياسة الأمريكية في هذا الجزء من العالم تخلو من المعضلات التي عجزت عن حلها، فقد كان هناك في الدرجة الأولى عدم إنسجام بين التصريحات المتكررة والوقائع الملموسة التي كانت تدل على محاباة إسرائيل من جهة، وصورة تنمية حسن النية عند العرب من جهة أخرى. فأدى عدم الإنسجام هذا إلى تحولات مفاجئة وحركات متناقضة، إذ كان يبدو أن البيت الأبيض (من وجهة نظر لنشوفسكي)، الذي كانت ترنو عيناه إلى السياسة الداخلية، كان يتجاهل مصالح السياسة العربية، فلم يفعل هذا التردد والتقلب شيئاً لتقوية نفوذ أمريكا وسطوتها، فقد نجحت الولايات المتحدة في أن تصنع ما كانت بريطانيا قد صنعتة خلال ثلاثين سنة، في مخاصمة الشرق الأوسط. ولا ريب أن هناك شيئاً من المبالغة في هذا القول، لكنه كان يعكس بطبيعة الحال الأخطار الكامنة في سياسة ترفض إنتهاج خطة ثابتة غير متقلبة" (جورج لنشوفسكي، 1959، ص531).

## المبحث الثاني:- صراع المصالح في الشرق الأوسط بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي

إستمر صراع المصالح القومية بين القطبين الدوليين، وإن خف بعض الشئ عما كان عليه في الخمسينيات والستينيات على أرض الإقليم، لأن أهمية الطرق المائية الإستراتيجية في الإقليم بقيت تمثل نقطة إرتكاز بين القوتين القطبين، فهي هامة للإتحاد السوفيتي لأنها نقطة إرتكاز لسياسة "البحار الدافئة المفتوحة والشواطي الآمنة" (الكعي، 1937، ص163). ولأن تواجد القطب الأمريكي فيها (مع قوات حلف شمال الأطلسي) يهدد الإتحاد السوفيتي مباشرةً (غاي ونت وبيتر غالفوكوريسي، 1957، ص113)، لأن هذه المنطقة هي أقرب المناطق إلى جنوب شرق الإتحاد السوفيتي، ولأنها تتحكم في عقدة المواصلات التجارية بين الشمال

والجنوب، وخاصة تجارة البترول (الكعي، 1973، ص163)، وتعزى أيضاً هذه الأهمية بشكل خاص إلى طرق المضائق التركية وقناة السويس (جورج لنشوفسكي، 1959 ص531). (والقرن الأفريقي في عالم المحيط الهندي). وقد كانت المضائق منذ القدم طريقاً حيويًا للتجارة بين شواطئ البحر الأسود والبحر المتوسط. كما كان إزدهار الكثير من دول البحر المتوسط، مثل جنوة واليونان، يعتمد في الدرجة الأولى على قابلية هذه الدول على المتاجرة داخل الدول المطلة على البحر الأسود. وقد لعبت المضائق إضافة إلى ذلك دوراً متزايد الأهمية في تجارة روسيا الخارجية منذ أن حصلت على منفذ لها يطل على البحر الأسود.

وأصبح لقناة السويس حينما تم شقها، وحلت في محل طريق رأس الرجاء الصالح القديم، أهمية تجارية واضحة، فهي حلقة وصل بين الشمال والجنوب، وأستراليا الزراعية وشرق أفريقيا، ومن الناحية السكانية تربط بين أربعة أخماس سكان العالم الذين يختلفون فيما بينهم في المستويات الحضارية والإقتصادية.

وحول هذه الأهمية، قال "أندريه سيجفريد" في مجلة "الشئون الخارجية الأمريكية" في تموز عام 1953م، بأنه لولا قناة السويس "لم يتسنى لحركة التصنيع الأوروبية إطراد التقدم خلال القرن الماضي ولم يتسنى لها سبيل وصول المواد الخام من أقصى بقاع العالم وإفتتاح أسواق جديدة لمصنوعاتها، وهو ما وفرته قناة السويس" (السعودي وآخرون، 1968، ص38-40).

وبعد إغلاق القناة نتيجة حرب عام 1967م، صرح وزير الخزانة البريطاني بأن "الخزانة تتحمل شهرياً 20 مليون جنيه إسترليني نتيجة هذا الإغلاق".

### المبحث الثالث: - إكتشاف البترول في منطقة الشرق الأوسط

وقد شكل إكتشاف البترول في الإقليم بعداً جديداً لأهمية هذا الإقليم الإستراتيجية، فمنذ إكتشافه في أوائل العشرينات من القرن الماضي زاد الصراع الدولي على الإقليم، ثم إستشرى بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية، وعاد الموقع الجغرافي للشرق الأوسط يؤكد أهميته في عملية توزيع البترول مما جعل واشنطن تزيد من إهتمامها بهذا الإقليم بشكل ملحوظ.

وبناءً على ذلك، يمكن القول أنه إذا كانت قيمة الشرق الأوسط وأهميته الإستراتيجية قد تراجعت إلى حداً ما بالنسبة إلى أرضه في السبعينات من القرن الماضي كمرتكز للصراع بين القوتين القطبين في النسق الدولي القديم، فإن أهمية بحاره "المتوسط والأحمر" وخليج عدن "المحيط الهندي"، قد زادت من أهمية موقعه الإستراتيجي وخاصة في الجزء الشرقي من المتوسط، فقد سبب السوفيت للمعسكر الغربي "قلقاً شديداً" خاصة بعد أن أحرز نجاحاً هاماً في صداقاته على الأرض العربية منذ منتصف الخمسينات وحتى منتصف السبعينات من القرن الماضي.

وبالإضافة إلى الصراع على مياه الإقليم في الصراع الدولي في النسق الدولي العالمي السابق، فإن الصراع المستمر على بتروله، كان له أثر كبير في التسعينات من القرن الماضي على مستقبل الإقليم السياسي. فمنذ أن أصبحت المنطقة أكبر خزان للاحتياطي البترولي المؤكد وجوده في العالم، أضاف إلى الإقليم أشكالاً جديدة من الإستراتيجيات الجيوبوليتيكية العالمية، متمثلة في الصراع الدولي حول الإقليم. وقد إتخذت جيوبوليتيكية البترول في تأثيرها السياسي على دول الإقليم عدة مراحل. وكانت المرحلة الأولى صراعاً واضحاً بين الرغبات القومية وبين مصالح الشركات الأجنبية المنتجة للبترول. وقد بدأت حركة تأميم البترول الإيراني في ظل حكومة مصدق في عام 1951م.

أما المرحلة الثانية من جيوبوليتيكية البترول فقد ظهرت حين تحول الصراع حول البترول إلى صراع قوميات الإقليم والمصالح القومية للكتلة الغربية بأسرها. وفي هذه المرحلة أُلقت واشنطن بكل ثقلها السياسي والإستراتيجي كخليفة للقوى الأوروبية القديمة وتحديداً بريطانيا.

وفي تلك الآونة ظهر مبدأ الـ 50% في المشاركة بين الشركات والدول. وتأسست أيضاً منظمة الدول المصدرة للبترول "أوبك" OPEC عام 1960م، وكان من نتائجها زيادة أسعار البترول تدريجياً، وتغيير نظام الـ 50% في حالات كثيرة إلى ميزان أكثر ميلاً لصالح الدول المنتجة.

ولقد بدأت المرحلة الثالثة في جيوسراتيجية البترول بالتلويح باستخدام البترول في الشرق الأوسط عامة، وفي العالم العربي خصوصاً (بما في ذلك ليبيا والجزائر)، كجزء من أسلحة الصراع العربي مع العدو الإسرائيلي. وكان ذلك في النصف الثاني من الستينات. ولكن استخدامه الفعلي لم يحدث إلا بعد نحو سبع سنوات من التلويح به، وكان ذلك في حرب تشرين الأول - أكتوبر عام 1973م. ولأول مرة يصبح البترول سلاحاً سياسياً ذا فعالية خطيرة على المستوى الدولي، بعد أن كان مجرد سلاحاً تتذرع به القوميات النامية.

وإلى جانب آثار الحرب الساخنة في تشرين الأول - أكتوبر 1973م بين العرب والعدو الإسرائيلي، فإن سلاح البترول العربي قد إشتراك بإيجابية كبيرة في رفع مشكلة إقليم الشرق الأوسط القومية والسياسية (العرب والإمبريالية والصهيونية)، والإستراتيجية (صراع الغرب والشرق)، والإقتصادية (مشكلة الطاقة في العالم الصناعي الأوروبي والأمريكي معاً، بالإضافة إلى اليابان) إلى أعلى مستوى من الفكر والمناقشة والتفاوض الجماعي وغير الجماعي بين دول السوق الأوروبية، والمعسكرين الشرقي والغربي، ودول الوطن العربي، والعالم الأفريقي والآسيوي، والأمم المتحدة.

وفي هذا الإتجاه، أشير إلى الأنباء الصحفية، التي كانت قد ترددت في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تحدثت عن حاجة الإتحاد السوفيتي إلى بترول الخليج العربي، والذي طرح عدة تساؤلات مفادها، هل

الإتحاد السوفيتي أولاً يُترك ليصبح بدوره زوناً رئيسياً لأوبك والخليج العربي برضاه أو بغير رضاه؟  
(Jacques, 1985. P. 225).

وفي الكتاب الذي وضعه "بنوا- ميشان" عن تاريخ الجزيرة العربية منذ مطلع القرن الماضي، حيث يُشير المؤلف إلى أنه: - "عندما ذهب مولوتوف ليقابل هتلر في آذار- مارس عام 1941م، كان أحد الشروط الموضوعة لعقد تحالف ألماني- روسي إطلاق اليد في إيران والعراق، وإقتطاع جزء كبير نوعاً ما من العربية السعودية، ليضمن السوفيت السيطرة على الخليج العربي وخليج عدن. ولم يبذل زعماء الكرملين إستراتيجيتهم هذه التي ظهرت في أكثر من مناسبة بعد ذلك، ومنها المؤتمر الذي عقده هيئة الأركان السوفيتية والمكتب السياسي في تشرين الثاني-نوفمبر 1948م، والذي عرضت فيه على ستالين خطة عمليات واسعة تتضمن هجوماً صاعقاً على الخليج العربي يشنه جيش مدرع من 50 فرقة".

وبعد عامين، في تشرين الثاني- نوفمبر عام 1950م، عقد السوفيت في باثوم مؤتمراً مخصصاً للشرق الأوسط نوقشت فيه، في حضور مندوبين ومراقبين من تركيا، وفلسطين، وإيران، والعراق، وسوريا، ولبنان، والأردن، ومصر، ووسائل حماية المنطقة النفطية السوفيتية. وفي الوقت ذاته ضم موارد الوقود الموجودة في الدول المتاخمة.

ولمس الأمريكيون، القادمون الجدد إلى هذا الإقليم من العالم، الشأن الذي تكتسبه الجزيرة العربية، وتوصل خبراء البنناغون إلى حقيقة مفادها أن من يمسك بهذا الموقع ستكون له ميزة هائلة، ومضوا إلى القول أنه:- بعد عشر سنوات، من يكون سيد الجزيرة العربية والشرق الأوسط سيكون في الواقع سيد القارة الأوروبية كلها.

وسياسة المقاطعة الأمريكية، التي حرمت الإتحاد السوفيتي في مطلع الثمانينات من القرن الماضي من وسائل تكثيف إنتاجه النفطي الخاص، أسهمت برد فعل متناقض ومقلق، أثر في تسريع المناورة السوفيتية الطويلة النفس في إتجاه الخليج.

ولمواجهة هذا الخطر، عمد القادة الأمريكيون لا إلى تغيير سياستهم الإقتصادية، بل إلى تكثيف الإستعدادات والإنذارات العسكرية في إقليم الشرق الأوسط، وهكذا ضاق الطوق حول النقطة الحساسة الأكثر تأثراً وتعرضاً للعطب.

وعندما تدعم الوجود العسكري السوفيتي البري، في أفغانستان (حيث زاد عدد جيش الإحتلال، في صيف 1980م على 150 ألف رجل)، وعلى حدود إيران حيث رابطت فرق بلغ عددها 125 ألف رجل، وفي البحر مع وصول إسطولين قويين، واحد إلى البحر الأحمر، والآخر إلى الخليج العربي ذاته، أصدر



البنتاغون الأمر إلى وحداته البحرية والجوية الموزعة في البحر المتوسط والمحيط الهندي، بأن تفصل أعداداً كبيرة من العناصر لنقلها إلى المراكز الإستراتيجية في الخليج العربي.

وأعلن رئيس الولايات المتحدة آنذاك "جيمي كارتر" قائلاً: - "قام الإتحاد السوفيتي بمجموعة تحركات عسكرية لدعم مواقفه الإستراتيجية حول الخليج العربي، وهو يحدث بذلك تهديداً خطيراً جداً حيال حرية الحركة في مضائق المنطقة الحيوية في الشرق الأوسط".

ثم أعلن ما سمي "مبدأ كارتر"، في التعبيرات التالية: - "ليفهم الجميع موقفنا بوضوح، إن كل محاولة تقوم بها قوات خارجية للسيطرة على الخليج، ستعد موجهة إلى المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية. ومثل هذا التهديد ينبغي أن يُستبعد بجميع الوسائل، بما فيها القوة العسكرية" (جان جاك شرايبر، 1980، ص96). هذا، وقد نشرت الصحافة الأمريكية بعد ذلك بقليل، وثيقة أساسية وضعتها في العام 1980م هيئة الأركان في "البنتاغون" بعد 18 شهراً من الدراسة، بعنوان "قدرات وخيارات في الخليج العربي". وقد أشرف على وضعها وصياغتها النهائية أحد قادة أجهزة التخطيط في البنتاغون آنذاك "بول وولف ويتز".

"وإستنتجت الوثيقة أن أمريكا لا تملك الوسائل العسكرية القادرة على مواجهة السوفيت في الخليج العربي، وأنها بحاجة لا تستطيع أن تواجه غزواً سوفينياً لإيران، بعد غزو أفغانستان".

وبعد أن تفحص تقرير "ولف ويتز" التوقعات التي قد تحدث، إستنتج أنه: - "حتى يكون ثمة فرصة لمواجهة عملية عسكرية في الخليج، قد تكون الولايات المتحدة مضطرة إلى أن تبلغ حد التهديد بإستخدام أسلحة نووية تكتيكية".

وقال الخبير الأمريكي "ولتر.ج. ليفي" في مجلة "فورين أفيرز": - "إن الشئ الوحيد المؤكد في إفتراض قيام عمل عسكري في الخليج، هو تدمير المنشآت النفطية على الفور، وهي بالتحديد المنشآت التي يتعين في المبدأ حمايتها والإحتفاظ بها" (جان جاك شرايبر، 1980، ص ص98-99).

### المبحث الرابع: - الدعوة لقيام الشرق الأوسط الجديد

حاول "شمعون بيريز" في دعوته إلى شرق أوسط جديد، أن يقفز فوق هذا الصراع عبر "العولمة الإسرائيلية" أو النسخة الجديدة "الدبلوماسية الخداع الصهيونية" حينما أشار في كتابه "الشرق الأوسط الجديد": - "ولعل أفضل طريق لبناء هذا الشرق الأوسط، هو محاربة الفقر، كما لو كان تهديداً عسكرياً، وأنه لكي نتقذ مستقبل الشرق الأوسط ونؤمن لمواطنيه الأمان المطلوب، فلا يكفي تسوية الخلافات بشكل ثنائي أو حتى متعدد، فالمطلوب هو بناء شرق أوسط جديد، وضمن هذا الإطار يظل السلام هو الطريق الفعلي لتوفير الأمن ليس كهدف سياسي، ولكن كإستراتيجية، فالأمن المشترك وحده هو القادر على تأمين الأمان الشخصي (بيريز، 1994، ص90).

والمطلوب هو التركيز على حقيقة الشرق الأوسط الجديد بأبعاده الجديدة وطبيعة الأمن المختلفة فيه، بدلاً من التيه والإغراق في الذكريات، ذكريات الإنتصارات والحروب التي لن تخاض مرة أخرى؟ (بيريز، 1994، ص91).

ويضيف "ومن خلال هذا النظام يستطيع الشرق الأوسط تطوير الأسواق التي تنتج الدخل بدلاً من جمع التبرعات، إن التوفيرات التي نجنيها من تخفيض تكاليف الدفاع، يمكن أن تصقل وتجدد الأنظمة البيروقراطية العتيقة، كما تمكننا من إستخدام أفضل للمواصلات والأرض والمصادر الطبيعية، وذلك لإثراء الإقتصاد وتعميره"\* لأن الشرق الأوسط يكون قد توحد في سوق مشتركة، بفعل "وطأة وضغط المشكلات المالية في المنطقة" (شمعون بيريز، 1994، ص108).

ويقول "وبعد إنشاء السوق يكون ممكناً استخدام الأموال العالمية لإقامة صندوق لتنمية الشرق الأوسط، بما يسمح لكل بلد بفتح حدوده والتمتع بفوائد هذا الصندوق؟". ويعزز هذه الوعود البراقة بالتأكيد على أن "شرقاً أوسطياً جديداً متطوراً إقتصادياً ومستقراً إجتماعياً وسياسياً سيكلف العالم أقل بكثير مما ستكلفه المواجهة السياسية العنيفة". ويتابع "ومثل هذا المشروع سيفيد أيضاً الدول خارج المنطقة"، ويختم بإسلوبه الميكافيلي "ولعله لن يطول الوقت قبل أن يصبح الشرق الأوسط مكاناً للتعاون وليس للمواجهة بين البشر" (شمعون بيريز، 1994، ص108).

إلا أن "رولبانت" له رأي آخر في هذا السياق حيث يقول: -"إن الجيش الإسرائيلي هو المجتمع الإسرائيلي، والمجتمع الإسرائيلي هو الجيش الإسرائيلي، والجيش الإسرائيلي ليس مجرد ملحق هامشي الوجود في المجتمع الإسرائيلي، بل له وظيفة مهمة، بل هو الشئ الوحيد الذي يجعل إسرائيل حقيقة واقعة، فهو إذن بداية ونهاية الوجود السياسي الإسرائيلي" (The Israeli soldier, New York, 1970. P. 270).

والواقع أن "إسرائيل" كلها مجمع صناعي عسكري كبير، وليس فقط التهديد العربي المزعوم هو المسئول عن تطور هذا المجتمع. فقد بدأت "إسرائيل" بإدخال الأسلحة الذرية إلى المنطقة قبل الأقطار العربية بكثير، وهي التي بادرت إلى دعم الفتن الداخلية في أنحاء الوطن العربي، ولا يمكن مثلاً تفسير إرسال مجمعها العسكري لوسائل الدمار إلى جنوب السودان على أنه سبب أمني لحماية "إسرائيل".

ويمكن القول دون مبالغة أن المجتمع الصناعي العسكري الإسرائيلي هو أحد أكبر وأكثر المجتمعات تعقيداً في العالم قياساً بحجم عدد السكان، والموازنة الوطنية ومعدل الإنتاج الوطني، إنه نظام معقد جداً من العلاقات التبادلية التي تحوي نسبة وافرة من قوى عمل "إسرائيل".

\* يلاحظ هنا تركيز "بيريز" على الأمن "الأمن الصهيوني في الشرق الأوسط، أو نظرية المجال الحيوي الصهيوني، المرتكز على نظرية من النيل إلى الفرات"

وهو قطاع تترأسه نخبة لها مواصفات هوية إجتماعية، تميزها درجة عالية من التلاحم، ولقراراتها وممارساتها أثر هام ليس فقط على إقتصاد "إسرائيل" وسياستها الدفاعية والخارجية، ولكن أيضاً على نظامها الاجتماعي (البرغوثي، عمان، 1985، ص7).

وعلى الرغم من كل هذه المخاطر التي تهدد "إقليم الشرق الأوسط" في مصيره، في "صراع العولمة" الدائر على أرضه ومياهه وأجوائه، فإن بؤادر هذا الصراع تشير إلى ولادة صورة جديدة لشرق أوسط متجدد في الصورة العامة للنسق الدولي العالمي الراهن.

والحقيقة التي يجب مواجهتها في حكم التاريخ والناس معاً في إسجابة هذا الإقليم لتحدي "صراع العولمة" عليه ومن حوله. لأن هذه "العولمة محكوم عليها أن تتعايش مع الهوية في إطار التنوع الثقافي، من أجل الإزدهار الإنساني والسلام العالمي، وبذلك تصبح العولمة مرحمة، وليست هيمنة ومظلمة" (التوجري، 1997، ص9).

وفي النهاية، الواقع لا يدعو إلى اليأس، إذا إستمر العمل بنظرية إستراتيجية شاملة، تكشف تحديات المستقبل وتخطط لها في إطار "التحدي والإستجابة"، كالذي يجري على أرض هذا الإقليم حالياً من قبل "ظاهرة العولمة" بشقيها الإعلامي و"الإقتصادي-السياسي".

## الخاتمة

صراع العولمة في إقليم الشرق الأوسط، في النسق الدولي العالمي الراهن ليس بالجديد المستحدث، بل أن جذوره تمتد إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، حينما بدأ الإهتمام الأمريكي والسوفيتي بهذا الإقليم، لضرورات إستراتيجية وسياسية، كان البعض منها يتعلق بصراع الحرب الباردة بين القوتين القطبين على أرضه، في حين أن الأساس هو أن هذا الإقليم ومنذ ذلك التاريخ أصبح من أهم المرتكزات في إهتمامات السياسة الخارجية لموسكو وواشنطن في دعم مصالحهما القومية فيه.

كما أن قيمة الإقليم وأهميته الإستراتيجية قد تراجعت إلى حداً ما بالنسبة لأرضه كمرتكز في الصراع الدولي في الفترة ما بين عامي 1972م - 1989م، إلا أن هذه القيمة الإستراتيجية عادت لتظهر على أرضه ومياهه وأجوائه منذ العام 1990م، ولا تزال في ظل تداعيات صراع العولمة فيه، ومن حوله، والتي تداخلت فيها الصراعات الخارجية مع الصراعات المحلية المتنقلة هنا وهناك، وفي مقدمتها الصراع العربي-الإسرائيلي، وخصوصاً ممارستها إرهاب الدولة العسكرية ضد الشعب العربي في فلسطين المحتلة، ومحاولات العدو الإسرائيلي التوسع على حساب الأمة العربية.

## النتائج

- 1- صراع العولمة في إقليم الشرق الأوسط ليس وليد اللحظة، ولم يبدأ بتفكك الإتحاد السوفيتي في عام 1990م، وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام العالمي الجديد، إنما هو إمتداد لصراعات قديمة في الإقليم ومرحلة من مراحلها.
- 2- ترجع أغلب الصراعات في إقليم الشرق الأوسط إلى موقعه وأهميته الإستراتيجية.
- 3- الشرق الأوسط زاخر بكميات ضخمة من النفط والغاز، والعالم الحديث يعتبر مستهلكاً كبيراً للطاقة وتزداد حاجته إليها بإستمرار.
- 4- ضعف وتفكك دول الشرق الأوسط جعلها غير قادرة على السيطرة على الصراعات الداخلية داخل الإقليم. وأيضاً غير قادرة على مجابهة الأخطار والغزو الخارجي للإقليم.
- 5- قناعة الأمريكان التامة بأن من يكون سيد الجزيرة العربية والشرق الأوسط سيكون في الواقع سيد القارة الأوروبية كلها.

## التوصيات

- 1- العمل على جعل منطقة أو إقليم الشرق الأوسط منطقة مستقرة وبعيدة عن النزاعات والصراعات لما له من أهمية دينية وتاريخية وإستراتيجية واقتصادية بالنسبة للعالم.
- 2- العمل على منع التدخلات الخارجية في الإقليم، وعدم تأجيج الصراعات الدينية والحدودية والطائفية به.
- 3- العمل على إستقلالية الأنظمة والدول داخل إقليم الشرق الأوسط، وتخلصها من التبعية للقوى المهيمنة من خارجه.
- 4- قيام تكامل أو إتحاد عربي بين الدول العربية في إقليم الشرق الأوسط كخطوة نحو تحقيق تكامل أو إتحاد يضم جميع الدول داخل الإقليم.

## قائمة المراجع

- 1- بشير شريف البرغوثي (1985) المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء، إسرائيل سلاح وعسكر. - عمان: دار الجليل للنشر.
- 2- أمين محمود عبدالله (1979) في أصول الجغرافيا السياسية. - بيروت: دار النهضة العربية.
- 3- جان جاك شرايبر، ترجمة المؤسسة العربية للدراسات والنشر (1980) التحدي العالمي. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 4- جورج لنشوفسكي، ترجمة جعفر خياط (1959) الشرق الأوسط في الشئون العالمية، ج2. - بغداد: منشورات دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع.
- 5- زين نورالدين زين (1971) الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان. - بيروت: دار النهار.
- 6- شمعون بيري، ترجمة محمد حلمي عبدالحافظ (1994) الشرق الأوسط الجديد. - عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- 7- عبد العزيز بن عثمان التويجري (1997) الهوية والتنوع الثقافي. - الشرق الأوسط.
- 8- غاي ونت وبيتر غالفوكوريسي، ترجمة الرائد العربي (1957)، أزمة الشرق الأوسط. - بيروت: منشورات عويدات.
- 9- محمد عبدالغني السعودي... وآخرون (1968) كتاب المجتمع العربي. - بيروت: دار النهضة العربية.
- 10- يحيى أحمد الكعكي (1986) الشرق الأوسط والصراع الدولي. - بيروت: دار النهضة العربية.
- 11- يحيى أحمد الكعكي (1973) مقدمة في علم السياسة. - بيروت: دار النهضة العربية.
- 12- Jacques de lounay et Jean – michel charlier Histoire secreete du petrole 1859- 1984, Presse de la cite, Paris, 1985.
- 13-The Israeli soldier, New York, 1970.